

أحاديث رمضان ١٤٢٥ هـ - ومضات ولقطات إيمانية - الدرس (٠٧-٦٤) : معنى الزهد
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٠-١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من الحالات التي تلازم المؤمن :

أيها الأخوة، من الحالات التي تلازم المؤمن حالة الزهد، هذا المفهوم مشوه في هذه الأيام، الله عز وجل حينما يقول:

(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)

[سورة النحل الآية: ٩٦]

كل شيء تملكه لا بد من أن تخسره ساعة الموت، فالذي يجمعه الإنسان في الدنيا من أموال منقولة وغير منقولة ومن عملات من كل الأنواع، يخسرها



كل شيء تملكه تخسره ساعة الموت

عندما يقف قلبه، ولا ينفعه في القبر إلا عمله الصالح، البطل هو الذي يترك الدنيا قبل أن تتركه، لذلك ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

((إن هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء، ومنزل ترح فيها -متاعب لا تنتهي؛ اجتماعية ونفسية وجسمية- فمن عرفها، لم يفرح لرخاء -هذا من الزهد- ولم يحزن لشقاء -أن الرخاء مؤقت، والشقاء مؤقت- قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيبتلى ليجزي))

تحت أي موضوع تندرج هذه الآيات؟ :

حينما يقول خالق السموات والأرض:

(أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)

[سورة الحديد الآية: ٢٠]

إنما: أداة قصر، الدنيا حصراً هي لعب وزيينة:

(لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)

[سورة الحديد الآية: ٢٠]

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِتْرَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ)

[سورة الكهف الآية: ٤٥]

ثم إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا:

(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)

[سورة النساء الآية: ٧٧]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ)

[سورة التوبة الآية: ٣٨]

الحياة الدنيا أعجبتكم! هل هي كافية كي تسعدوا بها؟:

(فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)

[سورة التوبة الآية: ٣٨]

ماذا نستنتج من هذا المثال؟ :

(وَلَا تَمَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)

[سورة طه الآية: ١٣١]

للتقريب: خيرناك بين دراجة وأعلى مركبة، الدراجة تملك دائم، والمركبة الفخمة ربع ساعة، طبعاً تختار الدراجة لأنها أبقى، فما قولك لو خيرناك بين مركبة من أعلى مستوى تمتلكها كلياً، وبين أن تتركب هذه الدراجة عشر دقائق؟ الذي يختار الدراجة يحتاج إلى مستشفى الأمراض العقلية:

(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)

[سورة النساء الآية: ٧٧]

(وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُفُوفًا مِنْ فُضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ)

[سورة الزخرف الآية: ٣٣]

من تعريفات الزهد :



الورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة

أيها الأخوة، من أدق تعريفات الزهد: أطمئنكم بأن ليس معنى الزهد أن ترتدي ثياباً مرقعة، ولا تأكل طعاماً خشناً، قولاً واحداً، ليس هذا هو الزهد، ولكن من تعريفات الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، أما تعريف الورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة، إن تركت شيئاً يضر بأخرك فأنت ورع، وإن تركت شيئاً لا تنتفع به في أخرك فأنت زاهد.

وقال بعض العلماء: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس البالي. قصر الأمل، إنسان يخطط لعشرين سنة قادمة، وفي اليوم نفسه يوضع نعيه على الجدران !.

علام يدل عمل هذا الشخص؟ :

مرة قال أخ، كان ينتظر في مكان، سمع حوار بين رجلين، قال: هذا الإنسان كدنا نخرج من جلودنا منه، قال: لم؟ قال: بقينا ستة أشهر، هو يفكر التدفئة في البيت يجعلها مخفية أم ظاهرة؟ يخاف أن يجعلها مخفية، بعد عشرين سنة تفسد، فيضطر لقلع البلاط، وإذا جعلها ظاهرة، لا تليق بأناقة البيت، فما الحل؟ قال: قرر أن يجعلها مخفية، فإذا فسدت بعد عشرين عاماً لا يكسر البلاط، بل يجعلها ظاهرة عندئذ لعشرين سنة قادمة!!.

المفهوم السلبي للزهد :

فالزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباءة، لكن يوجد معنى دقيق جداً: أنك بإمكانك أن تطعم الفقراء، وتؤوي المشردين، وتزوج الشباب، وتنفقه في



الانسحاب ورفض كل شيء ليس زهدا

تعليم القرآن، وحل مشكلات الناس، فإذا زهدت بمال حلال يمكن أن يكون قوة لك في الآخرة، فأنت لست بزاهد، وإذا زهدت بمنصب يمكن أن تحقق الحق فيه وتبطل الباطل ويكون نفعك عاماً، فأنت لست بزاهد، هذا المفهوم السقيم للزهد: كل شيء ترفضه، وتنسحب منه، ليس معك أعمال صالحة. أحياناً: المال قوة، والعلم قوة، والمنصب قوة، هذه مراكز قوى كبيرة جداً، الذي يمكن في الأرض، متاح له أن يعمل من الأعمال الصالحة ما لا يستطيع الآخرون أن يفعلوه، فحينما تزهد في شيء من نعم الله التي تنفعك في الآخرة، وبإمكانك أن تنتفع بها في الآخرة، أنت في هذه الحالة لست بزاهد، من أجمل ما في القرآن عن الزهد:

(لَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)

[سورة الحديد الآية: ٢٣]

لا تأسفوا على مفقود، ولا تفرحوا لموجود.

ما قيل عن الزهد :

قالوا: الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح، الحب يدفعك على الشهادة، والزهد يدفعك لأن تبذل ما تملك.

قال بعض العلماء: الزهد في الدنيا هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال.



يسكن في بيت فخم، لا بد من يوم أخرج منه في نعش، هذا الكلام هل فيه شك؟ تركب مركبة فارهة، لا بد من يوم يأخذها من بعدك، لك مقتنيات ثمينة،



وعندك أموال طائلة، حينما ترى أن هذا الشيء لا يدوم فأنت زاهد، أما حينما تنسى الموت كلياً، وتشعر أنك مخلد في الدنيا هنا المشكلة؛ الزهد عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف، الزهد خلو القلب

عما خلت منه اليد، أنت لا يوجد عندك مركبة فارهة، كلما ألقيت نظرة على مركبة: هنيئاً لصاحبها، يا ليتني كنت مكانه، أنت لست بزاهد، الزاهد: إن رأى متاع الدنيا؛ بيت فخم، مركبة فارهة، كان عليه الصلاة والسلام يعلمنا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَأَصْلِحِ النَّاصِرَ

وَالْمُهَاجِرَةَ))

من تعريفات الزهد: عدم الفرح بإقبال الدنيا وعدم الحزن على إديبارها. قال أأءهم: لا يبلغ أءء حقيقة الزهء، أءى يكون فيه ثلاث آصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة، وأءء ما يجسء الزهء: أن ءؤءر الآءرين على ما في يءك: **(وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أُنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)**

[سورة الحشر الآية: ٩]

تعريف الزهء في رأي الإمام أءء بن حنبل :

الإمام أءء بن حنبل -رحمه الله ءعالى- يقول: الزهء على ثلاثة أوجه: الأول: ءرك الحرام، وهذا زهء العوام، والءاني: ءرك الفضول من الحلال الشيء الزائء عن الءء، ءركءه هذا من الزهء، وهذا زهء الخواص، لكن أعلى مرءبة في الزهء: ءرك ما يشغل عن الله، وهو زهء العارفين. ءرك الحرام زهء العوام، ءرك الفضول من الحلال زهء الخواص، ءرك ما يشغل عن الله عز وجل هو زهء العارفين.

يوجد تعريف رائع، قال: الزهء سفر القلب من وطن الدنيا إلى الآءرة.

قرار المؤمن الصاءق :

ءءءني أءء الءعاة قال: ءعيت لمؤءمر في أقصى الدنيا قبل الءاءي عشر من أيلول بالهاتف، فوافقت، قال: ما إن وضعت سماعة الهاتف في مكانها أءى أصبحت هناك، بمعنى: يا ءرى مءى سأسافر؟ هل آءء معي زوجءي؟ كم أقيم هناك؟ في أي مءينة سأقيم؟ هل آءنقل من مءينة إلى أخرى؟.

أقول لكم بصراحة: المؤمن الصاءق يعيش الآءرة، لأن الدنيا زائلة لا بء من ءركها، فالمؤمن الصاءق ءائماً يفكر: كيف ءءم ءيائي؟ هل ءءم على الإيمان؟ هل أموت وأنا قريب من الله عز وجل؟ وأنا أؤءي طاعة لله عز وجل؟ عءءما يكون الأخ الءاعية آءء قرار بءلبية الءعوة، قال: ءون أن أشعر، ما إن وضعت سماعة الهاتف، أءى صرت في ءلك البلاد نفسياً.

الإنسان أءائناً يأءء قراراً بالءهاب إلى الءء، لما آءء القرار، وأعطى موافقءه، وبءأت الإءراءات الإدارية ليعطى جواز الءء، صار هناك: يا ءرى المءينة أولاً أم مكة؟ آءء مع من؟ مع أي فوج آءءق؟ ماذا أفعل ءينما أعود؟ لما آءء قراراً بالسفر إلى الءء، صار هناك نفسياً.

أءائناً إنساناً بشكل مبسط ينوي السفر لمكان جميل في نهاية الصيف، عءءما يأءء قراراً: أين أنزل؟ وأين أسكن بالءبل أم في الءءر؟ والمؤمن الصاءق ءينما يأءء قراراً بالزهء، ينتقل من الدنيا إلى الآءرة.

ما قيل عن الزهد أيضاً :

أجمل ما قيل في الزهد: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك.

هذا من أجمع ما قيل في الزهد، أن تكون واثقاً بما عند الله زاهداً بما في يديك.

بعضهم قال: الزهد على ثلاث درجات؛ الزهد في الشبهة بعد ترك الحرام.

ترك الحرام واجب وفرض، لكن حينما تأتي قضية تحير؛ من زاوية حرام، ومن زاوية حلال، عندي حلال لكن عندك قلق، فلذلك: أنت حينما تدع الشبهة في الحرام فأنت زاهد- والأنفة من المنقصة -تأنف نفسك أن تسقط من عين الله- وكراهة مشاركة الفساق.

نقطة مهمة :

يوجد احتفال ضخم بفندق خمس نجوم، ونساء كاسيات عاريات، وأنت تغض بصرك، طبعاً هذه الحفلة كلها أنت بغنى عنها، أنت لا أقول: تعصي الله، لا، لكن مشاركة الفساق ليس من الورع، من سحب الأراذل جرحت عدالته، الزاهد تأنف نفسه أن يسقط من عين الله لا من عين الناس، وسقوط الإنسان من السماء إلى الأرض، وتتحطم بهذا السقوط أضلاعه، أهون من أن يسقط من عين الله، مشاركة الفساق هم يزدحمون على مواضع الرغبة من الدنيا.

تجد في مقصف جميل ازدحاماً شديداً، أو في المطعم الجيد، أو الفندق هناك ازدحام عليه، الزاهد نفسه تأبى أن يدخل هذا الخضم الذي لا يليق بالمؤمن.

من أدل دلالات الزهد :

ومن أدل دلالات الزهد: أن تغتنم الوقت فيما يقربك إلى الله.

عندك وقت فراغ؛ ممكن أن تتسمع أخبار، ممكن أن تطالع مقالات بمجلات، اضطراب سعر النقد في العالم فريضاً، ممكن أن تقرأ موضوعات أن ليس حراماً أن تقرأها، لكن لا تنفك.

النبي الكريم دخل إلى المسجد، رأى



من دلالات الزهد اغتنام الوقت فيما يقربك من الله

رجلاً تعلق الناس حوله، قال: من هذا؟ -هذا سؤال العارف- قالوا له: هو نسابة، قال: وما نسابة؟ قال: يا رسول الله، يعرف أنساب العرب، قال: ذلك علم لا ينفع من تعلمه، ولا يضر من جهل به. فإذا وجد شيء ليس حراماً، وليس حلالاً، شيء من المباحات فأنت تركته، وملأت وقتك بما ينفك عند الله، ملأت وقتك بزيارة أخ، ونصيحة أخ، عمل صالح، متابعة موضوع علمي، قراءة قرآن، خدمة تؤديها لإنسان، أنت حينما تدع المباحات، لا ذنب في أخذها، ولا ثواب في أخذها، وتلتفت إلى ما تملأ به وقتك من عمل طيب ينفك في الآخرة فأنت زاهد.

الكلمة الأخيرة عن الزهد :



آخر شيء في الموضوع: يجب أن تزهد بزهدك، يا أخي تركت بعثة جاءتني في الفنون الجميلة إلى بلد غربي، وتركها لله، هذا شيء لا يذكر أمام ما عند الله في الجنة.

إنسان منك بيت ومركبة وزوجك، قال: مرة تركت شيئاً قيمته خمس ليرات من أجلك، هو ماذا أعطاه؟ أعطاه كل شيء، فالمؤمن عندما يكون أديباً مع

الله، يستحي بزهده، تركت هذا الشيء من أجلك، الله عز وجل هو أهل التقوى والمغفرة، فقضية الزهد أولاً: إياكم أن تفهموا الزهد إنسان رث الهيئة. قال أبو الدرداء:

((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ لَنَا: إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَىٰ أَخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ، حَتَّىٰ تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ))

الزهد أن تشغل فيما خلقت من أجله.

والحمد لله رب العالمين